# الخطاب الإبستمولوجي و العلم المعاصر

مسعود بوشخشوخة، استاد مساعد

المدرسة العليا للاساتدة، قسنطينة

ملخص:

إن تحليل الموقف الابستمولوجي في علاقته بالعلم المعاصر يعود بنا لا محالــة إلى الحديث عن علاقة العلم بالفلسفة، و و الاكيد من هده العلاقة هو إبـــراز ذلـــك التفاعل المعرفي المتبادل بينهما، فكما أن الفلسفة بحاجة إلى النظريات العلمية لتطوير تصورها و توسيع نظرها و تأصيل فكرها عن العالم و علاقة الإنسان به، فـــالأمر عينه بالنسبة إلى العلم، و خاصة العلم المعاصر، فهو في حاجة ماســـة إلى الخاصـــية النقدية التي تنفرد بها الممارسة الفلسفية.

تفكيك فحوى هده العلاقة سيكشف لنا عن مشـــاركة الممارســـة الفلســـفية قرينتها النظرية العلمية في حل أساس المشكل العلمي المعاصر

**Résumé :**

L'analyse de la position épistémologique dans sa relation avec la science contemporaine nous renvoie, sûrement, à évoquer la relation science - philosophie. Il est certain que cette relation montre cette interaction cognitive mutuelle entre science-philosophie. Comme la philosophie a besoin des théories scientifiques pour évoluer sa conception et développer son point de vue et enraciner son idée sur le monde et la relation de l'homme avec ce dernier, il en est de même pour la science et spécialement la science contemporaine qui a tant besoin de la spécificité critique qui caractérise l'activité philosophique.

L'analyse profonde de cette relation nous mènera à découvrir la contribution de l'activité philosophique avec la théorie scientifique afin de trouver une solution de base du problème scientifique contemporain.

غرضنا من هذا العنوان هو ان نعرض بالشرح و التحليل إلى الموقف الابستمولوجي في علاقته بالعلم المعاصر ، وعند هذه الفكرة بالتحديد نود تأكيد عدم خلو أي عمل علمي من مقاربة فلسفية ابستمولوجية تعكس بالدرجة الأولى طبيعته المعاصرة، وذلك ا ن أي عمل علمي ليس في الحقيقة إلا مقاربة تحمل التعديل و التطوير.ولأننا سلمنا بداية بعدم خلو العمل العلمي من رؤية فلسفية توجهه فان هذا الموقف الجديد دليل على أن الممارسة الفلسفية تشارك في تكوين العمل العلمي.إن الولوج إلى توضيح كنه هذا الموقف الجديد يعود بنا لا محالة إلى معالجة أصله أي إلى الحديث عن علاقة الممارسة العلمية بالتفكير الفلسفي.

لقد كان العلم و لا يزال موضوعا للتفكير الفلسفي ، موضوعا للانساق الفلسفية التي تسعى إلى تأويل النتائج العلمية تأويلا يتفق و طبيعة النسق الفلسفي، فعلاقة العلم بالفلسفة ليست بالحديثة، إنما هي عريقة عراقة النشاط العقلي الإنساني. ونتيجة لهذا التداخل و التمازج الوظيفي بين العلم و الفلسفة فقد أثارت الحالة الراهنة للعلم بدءا من القرن الماضي، و نقصد بذلك المفاهيم العلمية الجديدة التي ابتدعها علماء هذا العصر خاصة في مجال الفيزياء العديد من التساؤلات الفلسفية التي شغلت اهتمام الفلاسفة (العلماء الفلاسفة) و أثمرت خطابات فلسفية ابستمولوجية، و بهذا يكون العلم قد فرض وجوده على الساحة الفكرية، مكونا حدودا خاصة به، جاهدا في الآن عينه إزاحة ما عداه من المحاولات المعرفية الأخرى، ومسوغ هذا صفات انفردت بها الممارسة العلمية مثل: الصرامة، والدقة، والقابلية للتجريب و التحقيق، و إن كانت كلها في الحقيقة قابلة للمراجعة و التعديل ، فلا مكان إذن للثابت و للمطلق في زمن الكوانتا quantum و النسبية relativité. على هذا الوجه الذي سار عليه العلم المعاصر تتضح لنا بداية الدلالة المعرفية للممارسة الفلسفة إلى جنب النظرية العلمية، التي جعلت من الفلسفة جهدا لا يرقى إلى مصاف الممارسة العلمية، وهذا راجع إلى طبيعة مواضيعها المجردة، الميتافيزيقية، فهي إذن مهددة بالإقصاء والتهميش من الدائرة العلمية(1) مادام التأمل في العلم الذي تم إحياؤه بواسطة العقبات التي عرفها، يترع إلى أن يخضع للطريقة العلمية، وذلك باعتماد الدقة كما سبق أن أشرنا المتمثلة في اللغة اللوجستيقية، و محاولته مضاعفة الاتصالات مع الوقائع، وهو ما يعني في نظر

روبير Robert blanché الاقتصار على التفكير في العلم، فمن غير الممكن أن نتخلص نهائيا من الفلسفة(2) ، و لان العلم لا يعترف بالفلسفة، في حين أن هده الأخيرة تعترف به، وتريد ان تضع له الأسس، إذ لا يجوز لنا أن ننكر هـدا، ولكن طبيعة النظرية العلمية المعاصرة تستدعي بالضرورة وجود الممارسة الفلسفية إلى جنبها، أضف إلى هدا أن الغاية من الممارسة العلمية و قرينتها الفلسفية غـدت في المرحلة المعاصرة تقود إلى وجهة واحدة و هي تقديم رؤية شاملة ومتكاملة و واضحة عن العالم.

فلا غرو إذن أن نؤكد مبدئيا العلاقة بين الزوج (خطاب ابستيمولوجي و نظرية علمية)، و ننفي تلقائيا أي شكل من أشكال سيطرة احدهما على الأخر، فكما أن الفلسفة بحاجة إلى النظريات العلمية لتطوير تصورها و توسيع نظرها، وتأصيل فكرها، عن العالم وعلاقة الإنسان به، فدلك الأمر بالنسبة إلى العلم (النظرية العلمية) وبخاصة العلم الراهن، فهو في حاجة ماسة إلى النظرة النقدية التي ينفرد بها النشاط الفلسفي،اضف إلى هدا تأكيد مبدأ المراجعة و التعديل للنظرية العلمية الدي هو في الحقيقة دلالة على رفض الوثوقية le dogmatisme و الانغلاق في العلم، و بالتالي تحقيق النسبية و الشمولية في التفكير، و رفع مستوى الانفتاح في العلم وفي الخطاب الفلسفي إلى حد يتحقق فيه شرط الملائمة مع مقتضيات التفكير العقلاني المعاصر.

فالمزاوجة بين النظرية العلمية و التفكير الفلسفي كانت حاضرة في اعمال فلاسفة وعلماء القرنين السابع عشر و الثامن عشر حتى نهاية القرن التاسع عشر(3) إلا أنها باتت ضرورية و شاركت في تسويغ طبيعة العلاقة بينهما بداية من القرن العشرين، و اعتبر الالتقاء بين العلم و الفلسفة ميدانا جديدا مثل بداية الابستمولوجيا، وهي في نظر روبير بلانشيه بداية تعود إلى الإرث الحديث الـدي يمثله أحسن تمثيل فيلسوف الدرة l'atome ليبنتز في مؤلفه الشهير "بحوث في الفهم الإنساني"، فهو بهدا التأصيل ينكر ايه صلة للابستمولوجيا بأعمال كل من بيكن، وديكارت، وسبينوزا، وكدا مالبرانش، ذلك إن خصوصية نظرية المعرفة عند ليبنتز القائمة على التعدد الدري، أرست و وسعت العقلانية الديكارتية من جهة، و من جهة أخرى أقرت بمادية العالم الخارجي، و عند هذه الفكرة تبدو ملامح

الارتباط المعاصر للخطاب الابستمولوجي بدالك يقول Gerard Escat :
"لقد ابعد التفكير الحديث حول المعرفة كانط ليعود إلى ليبتز الدي يبدو اكثر قبولا ليكون نموذج الابستمولوجيا الجديد(4).

إن الأمر لا يتعلق فقط بالخطاب الابستمولوجي المعاصر، بل بموضوعه الـــدي هو محور تمركز هويته و نعني به هنا أن امتداد اثر عمل ليبنتز الفلسفي لم يتوقـــف عند هدا الحد، إذ التعدد أو الكثرة في الجواهر مثلت حتمية ابستمولوجية و معرفية مهمة انفردت بها كخصوصية نظرية النسبية الاينشتاينية(5).

و هكدا فالحديث عن الابستمولوجيا هو حديث عن تلك العلاقة بين الفلسفة و العلم، أي عن العلم في الفلسفة المعاصرة، الدي أصبح لغة العصـــر، و ضـــرورة تفرض نفسها، و هو الدي شغل اهتمام جل الفلاسفة المعاصرين لما يـــبرزه مـــن ارتباط بين الفيلسوف و رجل العلم ممثل السلطة المعرفية في مرحلتها الراهنة، كما انه حديث جدد في هوية هدين الحقلين المعرفيين في دفاع كل منهما عـن هويتـه المعرفية و حدوده الوظيفية(6).

إن تحسس الموقف الابستمولوجي في علاقته بالعلم المعاصر، يفرض علينـــا لزامـــا تحديد خصوصية طبيعية هده العلاقة.

و مما لا مماحكة فيه أن مشكلة هدا اللون من الدراســـات المعرفيـــة، مشـــكلة تعريف، فمن غير الممكن الوقوف عند تعريف جامع مانع يستوفي كل جوانب هدا المصطلح، فلكي نكون صورة واضحة قدر الإمكان عن هدا اللون الجديـــد مـــن الدراسات و الأبحاث المعرفية، لابد من دراسة مسائله أو على الأقل إزالة اللبس عن أغلبها، خاصة ما تعلق منها بعلم المناهج، وهدا بغية ضبط حقيقة هوية الخطاب الابستمولوجي في علاقته بالعلم المعاصر ، نموذج الفكر العلمي الجديد.

يرد مصطلح الابستيمولوجيا Epistémologie في اللغة الانجليزيـــة، و اللغة الفرنسية، و في اللغة العربية، لكن ما يلفت الانتباه هو اختلاف هده اللغـــات حول المعنى اللغوي و الاصطلاحي لهدا اللفظ، فالفرنسيون مثلا يفصلـــون بصـــفة عامة بين الابستمولوجيا ونظرية المعرفة إذا ما استثنينا بعض المفكرين أمثال جـــان بياجيه ، الدي يعتبر الابستمولوجيا ونظرية المعرفة متـــرادفين، ذلـــك إن كـــل

ابستمولوجيا في نظره تصبح بالضرورة نظرية معرفة(7)، إمـــا اصـــطلاحا فهـــي الدراسة النقدية لأسئلة نظرية يطرحها تطبيق العلوم(8).

اما الانجلوسكسون فيقصدون بمصطلح الابستمولوجيا نظرية المعرفة بوصـــفها تبحث في شروط المعرفة و مصادرها(9) كما أنهم يعتبرونهـــا دراسة للمعرفة مقابلة لفلسفة العلم المتعلقة بمناهج العلم و نتائجه(10) و يفهمونها اصطلاحا على أنها دراسة التطورات العامة للمعرفة(11).

و قد سار على نهجهم الايطاليون و الألمان، فالمصطلح عند الالمان حافظ على اصوله القديمة بإعطائه معنى أوسع من اللفظة الفرنسية التي صيغت للدلالـــة علـــى مبحث أكثر دقة، فالابستمولوجيا في اللغة الألمانية تعني نظرية المعرفة بصفة عامـــة، لها ميزة فلسفية خالصة(12). إن الابستمولوجيا بهذا المعنى ظهرت في بداية القرن الماضي (ق20) كمبحث معرفي مستقل، و إن كانت بوادرها الأولى كما أكد بلا نشيه تعود إلى القرن السابع عشر(ق17)، تاريخ ميلاد المؤلف المنهجي، "بحـــوث جديدة في الفهم الإنساني" للفيلسوف الالماني ليبنتر، وهو عمل يعد مشـــاركة في تحديد منهج بناء المعرفة و تأكيدها في ألان عينه للوقف الانجلوسكســـوني الـــذي يزاوج بين الابستمولوجيا و نظرية المعرفة، فالطبيعة الحقيقية لهذه المزاوجة أخذت وجهة اقتربت بها من الميتافيزيقا بمعناها الكلاسيكي.

أما عن التفرقة الحاصلة بين الانجلوسكسون و الفرنسيين حول معنى المصطلح، فان الباحثة الفرنسية Léna Soler تبينه على أساس ضبطها لمعناه، و مفـــاده أن الابستمولوجيا حسب هده التفرقة، إما أن تكون دراسة حول العلم، و إمـــا أن تكون دراسة حول المعرفة(13).

إن مضمون ما تريد Léna Soler الدهاب إليه هو ان رؤيتـــها لمعـــنى الابستمولوجيا تتبـــدل و تـــتغير، فالانجلوسكســـون يأخـــدون بـــالمعنى الثـــاني للابستمولوجيا،أي دراسة المعرفة، وبمعنى أكثر تحديدا فهي نظرية في المعرفة، أمـــا الفرنسيون فعلى خلاف ذلك، ينظرون إلى الابستمولوجيا لا على أنها نظريـــة في المعرفة, لان هده الأخيرة تهتم بدراسة المعرفة بمعناها العام، أي المعرفة الإنسانية بمـــا فيها المعرفة العلمية، وإنما هي تلك الدراسة النقدية للمعرفة العلمية فحسب.

يضعنا هذا التمايز الحاصل في الدلالة الاصطلاحية لمعنى الابستمولوجيا، لا محالة عند أولى درجات سلم علاقة الخطاب الابستمولوجي بالعلم، الذي شرع في بيان مطابقة دلالة مصطلح الابستمولوجيا لنظرية المعرفة.

إن تفكيك طبيعة هذه العلاقة لا يتجلى لنا إلا في ضوء التاصيل لهذه الفكرة، وفق ما يتماشى و بنية النظرية العلمية المعاصرة

و تأكيدا لما سبق، وما نحن بصدده في هذا السياق هو الإشارة إلى ان الاختلاف بين الابستمولوجيا و نظرية المعرفة قائم، فالابستمولوجيا جزء من نظرية المعرفة كونها تتخذ من الفكر العلمي موضوعا لها، بينما تتخذ الثانية(نظرية المعرفة) من الفكر الإنساني عامة و ما ينتجه موضوعا لها، فهي بحث في مبادئ المعرفة الإنسانية و طبيعتها، ومصدرها، وقيمتها وكذا حدودها(14)، كما تدرس العلاقة القائمة بين الذات و الموضوع ، أي بين الذات المدركة و الموضوع المدرك وما ينشأ عن هذه العلاقة من مشكلات فلسفية، ومجمل القول: إن موضوع نظرية المعرفة هو المعرفة بصفة عامة بجميع أنواعها وتفاصيلها دون استثناء ... وقد اهتمت الفلسفة منذ نشأتها بهذه القضية(15).

و لأن نظرية المعرفة تهتم بجميع المعارف دون تخصيص وتمييز بين ما هو علمي وما هو غير علمي، ما هو عقلي وما هو تجريبي، وما هو ذو طبيعة مثالية أم واقعية، فان هذه المسائل و غيرها تشكل مباحثها ( البحث في إمكان المعرفة، البحث في مصادر المعرفة، البحث في طبيعة المعرفة ) و بالجملة فما يهمنا هو موضوع نظرية المعرفة، وذلك بغرض بسط مشكلة البحث فيما يربطها بالابستمولوجيا، وهو البحث في أهم المشكلات الفلسفية التي أثارتها العلاقة الناشئة بين الذات المدركة و الموضوع المدرك بداية من القرن الماضي(ق20)، ونعني البحث في حقيقة ومصدر, وطبيعة ما يسمى بالنظرية العلمية المعاصرة، و موضوع الابستمولوجيا المعاصرة، فأساس المشكلة إذن من منظور نظرية المعرفة هو كيفية إدراك الأشياء وتصورها، فالقضية ليست أكثر من تجديد لقيمة العلم و التصورات العلمية، وهو ما نعبر عنه في تاريخ العلوم بتطور المفاهيم و طرق التفكير العلمية، و ما ينشأ عن هذا من نظريات علمية، فما ميز النظرية الفيزيائية بداية من القرن الماضي (ق20) من بنية

على صورة نسق فرضي استنباطي يختبر تجريبيا، تنفرد بها عن اللاعلم او المعرفة العامية مكنها من فرض السيطرة على كل العلوم المجاورة من جهة، و منحها من جهة أخرى معيار الثقة لما تمتاز به من دقة، و صرامة و تحقق، و من ثمة بات ضروريا بالنسبة إلى كل العلوم و المباحث المعرفية بما فيها الابستمولوجيا ونظرية المعرفة السعي لكسب هده الصفات وما حققته من موضوعية، لتكون النظرية العلمية المعاصرة بهذا التتويج أحسن تمثيل علمي و فلسفي عرفه تاريخ النشاط العلمي للعقل البشري و تتجلى في المسائل التي اثارها ، وهي تشكل أساسا القضايا الرئيسة لنظرية المعرفة في مرحلتها الراهنة.

إن البنية المنطقية و الرياضية و المعرفية للنظرية العلمية لا تخلو من ذلك التقابل بين الذات و الموضوع، و هي الثنائية التي تقوم بها نظرية المعرفة، فالتأثير المتبادل و المستمر ين طرفي هي الثنائية يجعل العلاقة بينهما علاقة فحواها سلسلة تاريخية تتطور وتنمو(16) محققة تقدما يبرز نشاط العقل الإنساني و الفعل الحضاري، وهو نشاط تتقدمه انجازاته العلمية.

و هدفنا من هدا التحليل، هو حل معضلة الفصل بين الابستمولوجيا ونظرية المعرفة، للوصول إلى المطابقة بين هذين المبحثين إلى ابعد حدودها، ونعني هنا بالتحديد الإشارة ولو شبه مختصره إلى مدى تكامل الممارسة الفلسفية في علاقتها بالنظرية العلمية المعاصرة، و الحديث عن أهم خاصتين لها وهما: الإبداع الحدسي، و البناء التخيلي.

فأما الإبداع الحدسي الدي يمارسه الفيزيائي في نظر انشتاين فما هو في الحقيقة إلا التزام من جهة الفيزيائي تجاه معضلة فيزيائية أساسها إدراك ظواهر الطبيعة، فهو في جوهره علاقة قائمة بين الذات و الموضوع. و في السياق نفسه يورد لنا جيمس جينز مثالا عن الاختلاف بين الفيزيائيين حول طبيعة الضوء، إذا كان من طبيعة جسمية أم من طبيعة موجية، إذ يقول :" ونرى من ذلك إن الصورة الجسمية تخطئ عندما تنسب عدم التحديد إلى الطبيعة، فهو ليست خاصية للطبيعة بل لطريقتنا في النظر إلى الطبيعة" (17).

ولكي نتأكد صحة تاويلنا لبنية نظرية انشتاين النسبية في علاقتها بالممارسة الفلسفية أساس هده النظرية، أردف هدا العالم العملية الابداعية الحدسية، بالبناء

التخيلي، الذي يعبر عنه البناء الاكسيومي لنظرية النسبية احسن تعبير، فوجوده إلى جنب الفيزيائي ليس أكثر من تحقيق للوجود الذهني للفكرة الحدسية حتى يعوض الطبيعة الحسية للحقيقة الفيزيائية.

إن الزوج: ذات و موضوع حتى وان تماشت طبيعته مع طبيعة بنية النظرية العلمية الميكانيكية الكلاسيكية لابتعادها عن البناء الاكسيومي واقترابها من الاستقراء التجريبي، فانه لا يمكن بأي حال من الأحوال أن تأخد الوضع نفسه في المرحلة المعاصرة ، التي تغيرت معها طبيعة النظرية العلمية و جعلتها إلى حد ما ذاتية(18) تتماشى و خصوصية طبيعة العلم في مرحلته الراهنة, الذي يتوقف بناؤه على المفهوم الفلسفي.

يعني هذا أن العلم اليوم يعتبر ثمرة جهد شارك فيه الفيلسوف مثله مثل العالم، إن لم نقل أسبقية الجهد و الفهم الفلسفي على الممارسة العلمية، و استيعابنا لبنية النظرية العلمية المعاصرة و لأدوات بنائها يجعلنا ندرك الأساس الفلسفي الذي بنيت عليه هذه النظرية.

تتمة لتوضيح الغموض الذي يكتنف علاقة الخطاب الابستمولوجي بالنظرية العلمية نذكر بأشهر التعاريف للابستمولوجيا الذي جاء في معجم اندريه لالاند الفلسفي إذ يقول :" تشير هذه الكلمة إلى فلسفة العلوم، لكن بمعنى أدق، فهي ليست دراسة المناهج العلمية التي هي موضوع علم المناهج وهو جزء من علم المنطق.... إنها في الأساس دراسة نقدية لمبادئ و فرضيات ونتائج مختلف العلوم " (19).

إن ماهية البحث الابستمولجي حسب لالاند نظر في كيفية حدوث تطورات المعارف العلمية، فهي تهتم بالعلم باعتبارها تفكيرا و جهد فهم ، قائما على المعرفة العلمية وعلى انتهاج فكري، و بالدرجة الأولى على العلم الحالي، أي تظهر هذه المعرفة في صيغة أكثر كمالا، إلا أنها مع ذلك تستهدف علم الماضي(20)، فهي تأمل للعلوم في ماضيها و حاضرها وتحاول أن تجد لها منهجا يوحد ويبسط كل العمليات فيها(21)، و مادامت كذلك فهي تركز على العلم و تأخذه على انه موضوع، تتساءل عن أسسه، و بنيته، ومبادئه، و شروط صحته، و بذلك فلا يمكن ممارستها إلا من قبل علماء مختصين(22)، وتبقى مع هذا مشاكل

الابستمولوجيا العامة التي لا يمنع على العالم ان يواجهها بكل تاكيد، إلا انها تخرج على قدرة غير المختصين(23). و هو ما يعني ان ارتباطها بالعلم مكن من تصنيفها الى ابستمولوجيا جهوية و اخرى عامة.

فأما الابستمولوجيا العامة فهي تتساءل عن دلالة مفهوم العلم (24) فتسايره وتظهر تأثرها به سواء من حيث التساؤل عن خصوصية المناهج العلمية، أو السعي لوضع معايير ما هو علمي، يسمح للابستمولوجي بإصدار أحكام تميز العلم الصحيح مما ليس علما. فهي إذن بالجملة كما ذهب إلى ذلك "بلا نشيه" تظهر أهمية نظرية، تأملية في موضوعها وهو ما يجعلها ابستمولوجيا فلسفية اكثر منها علمية (25) ومنه فهي خطاب تأملي نقدي مكانه المناسب قصرا و ضرورة يكون بعد العلم، فالعلم أولا و الابستمولوجيا ثانيا.

و أما قرينتها الابستمولوجيا الجهوية أو المحلية فهي على العكس بجعل من العلم موضوعا لها، كما أنها تسعى لإبراز ما هو مغلوط فيه من نتائج الابستمولوجيا العامة (26) و في هذا السياق يرفض ممارسوها اي إمكانية التلفظ بما يسمى ابستمولوجيا عامة كخطاب منتج حول العلم مؤكدين في الآن عينه أولوية و أحقية و قرابة الابستمولوجيا فالجهوية في تحقيق المرجو من الخطاب الابستمولوجي إزاء العلم، فهي خلاف الابستمولوجيا العامة ترى في النقد إجراء منهجيا يجسد المرحلة التي ترتبط بها النظرية العلمية. إنها ميزة تحقق ذلك الاندماج و التداخل الظرفي بين الابستمولوجي الذي هو في الحقيقة عالم وبين نظريته العلمية على حد قول "بلا نشيه" (27).

هذا، وبجدر الإشارة إلى ان هذا التقسيم او التمفصل الدلالي لمنهجية علاقة الخطاب الابستمولوجي بالنظرية العلمية، لا يعني ذلك الزوج المنهجي الذي يترع إلى الدخول بنا في حوار جدلي حول أحقية أيهما بصحبة العلم و مواكبة تطوراته، بقدر ما تعني تلك الثنائية المتناقضة للممارسة الابستمولوجية.

فالتعارض القائم بين الابستمولجيا العامة و نقيضتها الجهوية مصدره الرئيس هو تباين رؤيتهما لطبيعة علاقة الخطاب الابستمولوجي بالنظرية العلمية. ففي حين تبرز الابستمولوجيا العامة اهتمامها الكلي و الإجمالي، تظهر الابستمولوجيا الجهوية

اهتمامها الداخلي و المحلي بالممارسة العلمية، و من ثمة فالتفريق بينهما ما هـــو إلا تخالف بين ضربين من الابستمولوجيا أصله مزاوجة في معنى العلم(28).

فالعلم بمعناه المفرد La science، لفظ لمعنى مثالي يفتقد أدنى شروط الواقعية، اساسه ذلك الخيال الإبداعي لفلاسفة العلوم، (29)، فهو إذن ممارسة تأملية تنبـــع من ذات الفيلسوف، وعند هذه النقطة ما على الابســـتمولوجيين إلا أن يقطعـــوا صلتهم بكل ما يمدهم به هذا المعنى لأنه نشأ منفصلا عن كل ما هـــو واقعـــي، و تركيز اهتمامهم على مفهوم العلم بمعناه الجمعي Les sciences (30)، لأنه يعكس تنوعا حقيقيا من جهة، و يبتعد بالابستمولوجيا عن ما هو فلسفي، مبرزا ما تستحقه من جهة أخرى، و هو تأسيس ابستمولوجيا علميـــة تتصـــف بصـــفات موضوعها.

فالابستمولوجيا بهذا المعنى المعاصر لم تقف عند هذا الحد، بل بدات تسعى نحو تقليد و تقمص صفات موضوعها، أي العلم. تلك هي الابستمولوجيا التي تبناهـــا ميشيل سير، و التي تتصف بصفات العلم المعاصر، لكن ما تبناه احد بناه العقلانيـــة المعاصرة و مؤسس الابستمولوجيا في فرنسا في (ق20) الفيلســـوف "غاســـتون باشلار" اتجه بصفة خاصة إلى إبراز الاختلاف بين العمل الفلسفي و العمل العلمي ساعيا في ألان عينه إلى إزالة الهوة القائمة بينهما، و ذلك بتكييف الفلســـفة وفـــق المعطيات و التطورات العلمية المعاصرة، حتى نتمكن من تشخيص القـــيم المعرفيـــة لهذه المرحلة، و إيجاد لغة تخاطب مشتركة بين العـــالم و الفيلســـوف، لان الغايـــة واحدة هي البحث عن الحقيقة و تحديدا للذات العارفة، فمهمة الابستمولوجيا إنما هي البحث في المجال الدي يشكل موضوعها الأساسي و يقطع كل صلة بينها وبين الذات وهو مجال يقتصر على الموضوع القابل للنقد، ليميز المعرفة الموضوعية عـــن المعرفة الذاتية، و كل قلب لهذه العلاقة سيخرج بالتحليل الابستمولوجي عن مهامه الحقيقية (31)، إلا أن "ميشيل سير" يرى أن الابستمولوجيا تخلت عن مهمتـــها النقدية تجاه العلوم، فلم تعد أكثر من مجرد وصف. يقول :" وهكـــذا فـــان مـــن الجوهري أن تصبح فلسفة العلوم، فلسفة تاريخ العلوم"(32).

فالابستمولوجيا حسب "ميشيل سير" تخلت عن الدور المنوط لهـــا، المتمثـــل في مواكبة التطور العلمي و السير جنبا إلى جنب صحبة ديناميكية الأحداث العلميـــة،

فهي تابعة لها، و الامر نفسه دعا إليه "غاستون باشلار" معربا عن استيائه من عدم اهتمام الفلاسفة بالتنوع و التعدد الحاصل في الميدان العلمي، إذ يقول :"دون أن يهتموا كثيرا بتعددية الوقائع و تنوعها"(33). و بالجملة فان الحاجة الضرورية للعلم في مرحلته الراهنة ونعني هنا النظرية العلمية حسب ما دعا إليه " انشتاين" هو وجود الممارسة الفلسفية إلى جنبه، فها هو " ماخ " مثلا يرفض الإقرار بأي نشاط فلسفي مصاحب للعلم وهو ما جعل "انشتاين" يعتبره ميكانيكيا جيدا لكنه فيلسوف هزيل، داعيا في ألان عينه العلماء إلى نقض مقولة " العلم فيلسوف رديء" وبهذا يكون موضوع الابستمولوجيا هو العلم الصحيح ممثلا بالفيزياء الرياضية بعديها الحديث و المعاصرة، فهي خطاب حول العلم انتدب لبحث الدلالات الفلسفية للثورات العلمية، تأمل من الخارج مع دراسة تنفد إلى الجوهر (الباطن) بغية التمكن من فهم معاني المعارف العلمية، و تجديد أسلوب النقد الفلسفي.

لكن بالعودة إلى نص " لالاند " نلتمس عدم وجود اية مهمة ميتودولوجيا (منهجية) توكل للابستمولوجي، إذ يقول محددا هذه العلاقة :" فهي ليست دراسة المناهج العلمية التي هي موضوع علم المناهج وهو جزء من علم المنطق...(34).

إن الفصل الذي أكده "لالاند" بين الابستمولوجيا و علم المناهج مرده كما ذهب إلى ذلك "بلانشيه" إلى اسباب تاريخية ارتبطت بأسلوب التعليم الجامعي في فرنسا طيلة القرن19 (35)، فالميتودولوجيا حسب "لالاند" غير الابستمولوجيا، و إنما هي جزء من علم المنطق، وهو ما يجعلنا نتساءل مع "بلانشيه" و "بياجيه"، كيف يكون موضوع الابستمولوجيا هو تساؤل حول مبادئ العلم و فرضياته و نتائجه، دون التساؤل في الوقت ذاته عن طبيعة طرق و أساليب بنائه؟

لو عدنا قليلا إلى الوراء و بالتحديد إلى الفترة السابقة للعصر الحديث، لتراءى لنا ان العامل الوحيد الذي أسس لمرحلة الفكر الحديث الغربي دون منازع هو البحث عن المنهج الأنسب للخروج من اللاادرية و الشكية التي عاشها العقل الإنساني (الفلسفي) في تلك الفترة، و لتأكد لنا ايضا أن جهود كل من: ديكارت و بيكن، و سبينوزا، وهيوم وغيرهم سعت لتحقيق هذه الغاية (البحث عن منهج للمعرفة)، كما لو تساءلنا عن سبب أزمة الفيزياء النيوتونية

لاجابنا تاريخ العلم بانها ازمة منهج، و نقد انشتاين لميكانيكا نيوتن يؤكد صدق دعوانا.

فقد نبالغ ان قلنا ان العلم هو المنهج، و ان اساس التقدم الحاصل في العلم خاصة في مرحلته الراهنة هو وليد تطور مناهج البحث. و في هذا السياق لن نجد أوضح مما قاله الرياضي "سير هرمان بوندي" « Sir Herman Bondé » "ببساطة ليس العلم شيئا أكثر من منهجه" (36).

إن النظرة الابستمولوجية النقدية، الداخلية للمعرفة العلمية تبعد الابستمولوجي عن الأحكام الشمولية الجاهزة، ذات الأصول الفلسفية التي غايتها تحقيق الكلي و الميتافيزيقي، و لو تنازلت عن النزر القليل من هويتها للابستمولوجي، فإنها لا محالة تبقي على الكثير منه لتوظيف وتوقيتها الفلسفية ( دغمائيتها )، و عندها سيكون من الصعب على الابستمولوجي أن يستهل نشاطه النقدي للنظريات و الآراء العلمية التي تؤلف في مجملها وعي الإنسان المعرفي و ممارساته العلمية دون أن يتساءل في الان عينه عن الطريقة التي ستمكنه من تحقيق ذلك، فالعلم في مرحلته الراهنة يشكل مادة للابستمولوجي، و الاستغلال الأمثل لهذه المادة لا يتأتى إلا بوجود مناهج يعتمدها الابستمولوجي لتقديم خطاب معرفي يستوفي كل الشروط الابستيمية.

فالأزمة التي عرفها علم الفيزياء في نهاية القرن 19، ارتبطت بالتقدم الهائل الدي حققه هذا العلم بدءا من القرن العشرين، والتي امتد اثرها إلى جميع المباحث المعرفية بما فيها الابستمولوجيا، و الأكيد من هذا هو أن هذه الأزمة نتجت عن غياب منهجية العمل و أسلوب البحث و التأصيل للنظريات العلمية في ذلك العصر، عصر الميكانيكا النيوتونية، إن لم نقل عجز المناهج الكلاسيكية عن مسايرة طبيعة العلم المعاصر، يقول "بياجيه" : " وكون الأزمات تنتج عن إحدى فجوات المناهج السابقة التي سيتم تجاوزها بفضل ابتكار مناهج جديدة"(37).

و هكذا يصل "بياجيه" إلى ضرورة البحث في المناهج بجميع انواعها، فهي الوسيلة التي يستند عليها العلم في تقدمه، وتطويرها من المهام الملقاة على جميع المباحث المعرفية عامة و الابستمولوجيا خاصة.

إذن المنهاج العلمي هو الطريق الذي يسلكه الباحث و يصل من خلاله إلى تحقيق هدف معين، فهو أداة الباحث و وسيلته التي يجب أن يسلكها لصياغة نظريته صياغة منطقية، تشارك في خلق انسجام بين ما هو عقلي و ما هو واقعي، و بالتالي تحقق للباحث الوجهة الصحيحة الخاصة، بموضوع بحثه و بطبيعة عمله، يقول "كلود برنار": " لا يكفي أن يرغب المرء في إجراء التجارب حتى يقوم بإجرائها، بل تعين عليه ان يعلم حق العلم ما يريد القيام به، وأن يتجنب الخطأ و الضلال وسط هذه الكثافة من الدراسات، و بالتالي لابد من تحديد المنهج", (38).

إن ما قاله "برنار" يؤكد فعلا ضرورة وجود المنهج جنبا إلى جنب مع العلم، كما أن وجوده ضروري يتفق و طبيعة العلم، وهو الأمر الذي يفصح عنه تعدد المناهج وتمايزها، وهذا بطبيعة الحال مرده تباين العلوم و مواضيعها، فمن غير الممكن الحديث عن منهج واحد عام لكل العلوم، بل الحديث يخص كل علم و منهجه، يقول "غاستون باشلار": "كل شيء متوقف على مجال الاختبار و التجربة، و يتعين على الفكر ان يتكيف مع أية تجربة جديدة، و أن خطابا في المنهج سيكون دائما خطابا ظرفيا، فهو لن يصف دستورا نهائيا للعقل العلمي",(39).

إن وجهة النظر التي دعا إليها "باشلار" لم تقنع بالرؤية الديكارتية الفلسفية، التي أرجعت العلم إلى الفلسفة، فالمنهج الذي ابتكره أبو الفلسفة الحديثة، مثل نقطة انعطاف في مسار النشاط الإبداعي الفلسفي، فقد أسس ديكارت منهجا مناهضا لمناهج البحث و المعرفة التقليدية، بما فيها المنهج الأرسطي، و كذا منهج "بـ يكن" الاستقرائي. الغرض منه رد التنوع المعرفي إلى منهج واحد، شرح أصوله في كتابه "مقالة في الطريقة , Discours de la méthode".و لأن خصوصية طبيعة تقدم المعرفة العلمية تفرض بالمقابل منهجا مناسبا لكل مرحلة،فإنه يجب في نظر "باشلار" أن يظل المنهج العلمي مسايرا لطبيعة النشاط العلمي المتفتح، ومن هنا فهو يرى أن الطريقة الديكارتية لا يمكن أن تكون الأسلوب الانجح لتحقيق التقدم العلمي، فهي على العكس من ذلك دعوة إلى الميتافيزيقي، و الفلسفي ، كما إنها دعوة إلى التغليط في أسلوب التحليل العلمي و عرقلة تحول دون تقدم المنهج العلمي.

إن تطبيق المشروع الديكارتي في نظرنا يحمل في طياته دعوة إلى الاهتمام بالممارسة الفلسفية بمعناها التقليدي من الناحية المعرفية و المنهجية، و يقلل بالمقابل من شأن البعد الابستمولوجي للنظرية العلمية، إن لم نقل يلغيه، و مرد هذا مطلقية صلاحية المنهج، لا نسبيته و قابليته للتجديد.

الأكيد إذن هو أن إعادة النظر في أزمات العلم و في الثورات العلمية الجديدة، هو في الحقيقة إعادة النظر في المنهج المنتج لها، و لعل أهم سبب جعلنا نرى في النظرية النسبية الخاصة نموذج النظرية العلمية المعاصرة هو خصوصيتها إن لم نقل انفرادها بمراجعة و قراءة جوانب قصور المنهج المتبع في تشييد صرح العلم الكلاسيكي عامة، و الميكانيكا النيوتونية خاصة، فمعضلة منهج الفيزياء النيوتونية يمكن رؤيتها من أكثر من زاوية في ضوء نظرية النسبية (من وجهة نظرنا)، و ما يحظرنا في هذا السياق هو علاقة مبادئ و قوانين العلم النيوتوني بالعلم الخارجي و الواقع الفيزيائي و ما تثيره هذه العلاقة من تساؤل حول امكانية وضع مبادئ مشتركة ثابتة و كلية، قادرة على احتواء الواقع الفيزيائي احتواء مطلق. و هنا تبرز الخصوصية أو الميزة التي انفرد بها المنهج التقليدي في جانبه الفلسفي الديكارتي المثالي و الميتافيزيقي و يتعلق الحديث في هذه المسألة بقطع كل حبال الوصال بين منهج البحث ومتطلبات الحقيقة العلمية المعاصرة.

و هكذا فإن تأملنا لتصور علاقة الابستمولوجيا بعلم المناهج من وجهة نظر "لالاند" قد صادفته مشكلة تموقعه بين المباحث المعرفية الأخرى، تم تجاوزها من طرف "بلا نشيه"، و يبدو أن الحل الذي تقدم به "بلا نشيه" جدد في هوية علاقة الفيلسوف بالعلم، و هو تجديد فرضته طبيعة النظرية العلمية المعاصرة، و بالتالي يكون "بلا نشيه" قد قدم لنا ما يسوغ بنية و تطور الخطاب الابستمولوجي في صلته المنهجية بالنظرية العلمية.

لتكن الابستمولوجيا بهذا المعنى ميتودولوجيا من الدرجة الثانية (40) كما تتضح لنا خلاصة ما ساقه "باشلار" في سابق حديثه عن إقراره بجملة العمليات المنهجية التي ينبغي الرجوع إليها أثناء عملية البحث، و ينفي الحديث عن منهج واحد لجميع العلوم، فمن غير الممكن أن يتخذ العقل العلمي المعاصر من منهج واحد أداة لتحقيق نتائج متنوعة بتنوع العلوم ومواضيعها.

استنادا إلى ما سبق ذكره، فإذا كان الخطاب الابستمولوجي وصفا لمسيرة العقل العلمي من وجهة نظر نقدية، و ما حققه من ثورات علمية دفعت بالعقل إلى إعادة النظر من جديد فيما هو كلاسيكي، من حيث بناء المفاهيم و النظريات العلمية التي ترتبط فيما بينها في صورة قوانين خاصة، فإن علم المناهج أو الميتودولوجيا إزاء هذا التقدم الذي فرضته أزمة العلم المعاصر مقتصر على دراسة مناهج مختلف العلوم دون استثناء، و هذا للكشف عن مراحل العمل العلمي، و طبيعة العلاقة التي ينفرد بها كل علم على حدة تجاه موضوعه في تأسيس قوانينه و بناء نظرياته.

و هكذا فإن علاقة الابستمولوجيا بعلم المناهج علاقة استعماليه تعبر فعلا عن حاجة الابستمولوجيا لعلم المناهج، و حضور المنهج في عملية الدراسة النقدية للعلم دليل على مدى التداخل و الارتباط بين هذين المبحثين المعرفيين، فمن غير المنطقي أن يكتب ابستمولوجيو القرن 20 دون أن يستعينوا بالمنهج المناسب للعلم المراد قراءة خطابه الابستمولوجي، فلا يمكن إذن أن تتخلى الابستمولوجيا عن علم المناهج على اعتبار أن وجوده أصبح متجدرا في مختلف العلوم، فهو علم جد مهم خاصة في المرحلة الراهنة للعلم.

يبدو أن مهمة الابستمولوجي تتوسط بين العمل العلمي و العمل الفلسفي، إن لم نقل إنها تبتعد عن أيدي الفلاسفة لتقترب من أيدي العلماء أنفسهم، وهي إحدى ميزات الخطاب الابستمولوجي المعاصر التي تم فيها تكفل العلماء المختصين بشكل مستمر بالقضايا الابستمولوجية، لان الأزمات الحديثة التي مست مختلف العلوم، و الثورات العلمية ما فتئت تعرفها أدت بممارسيها إلى إعادة النظر في مبادئها و التساؤل عن أسسها(41).حتى و إن اقتربت الابستمولوجيا بحثا عن هويتها من أيدي العلماء فهذا لا يعني غياب الممارسة الفلسفية إلى جنب النظرية العلمية، و إنما هو في الحقيقة بداية تأسيسها لمجال خاص بها يتوسط الاثنين، و هو مجال يسعى لان يتصف بصفات موضوعه، وكونها خطاب حول العلم و دراسة لمختلف العلوم وما يواجهها من عراقيل و أزمات، فهي تسعى لان تكون علما، و تبحث عن مسعاها في التطور المعاصر الذي عرفه العلم، هذا الأخير الذي مكن من تصنيفها الى ابستمولوجيا جهوية و أخرى عامة.

لاشك إذن ان النظرة العامة إلى العلم لا تثمر سوى خطابا تأمليا، يؤسس احكاما مجحفة فن حق العلم، و هي أحكام شاملة، و كلية لا تعكس على الإطلاق هوية الخطاب الابستمولوجي، و في المقابل تجاوز هذا الطابع ( الشمولية، و الكلية، و التأملية) يقودنا للبحث عن علاقة الإبستمولوجيا بالواقع، أو التحقق من اعتبارها علم الواقع.

و في سابق حديثنا أشرنا إلى المطابقة بين الإبستمولوجيا و نظرية المعرفة من حيث دلالة المصلحتين، كما أكدنا استنادا إلى رأي "بلا نشيه" ارتباط الابستمولوجيا بعلم المناهج الذي كان يعتبر سابقا (قبل ق20) و حسب "لالاند" جانبا من علم المنطق. و حتى يستقيم توضيحنا للإبستمولوجيا على أنها علم الواقع لابد من الاهتمام بالتطور التاريخي للمعارف العلمية، لان إقصاء العامل التاريخي سوف يلغي أهم المناهج التي اعتمدها العلم، و تنحصر نظرتنا فقط حول ما هو راهن أي ما من شأنه أن يزيل اللبس عن هدفنا المرجو.

في مقال كتبه: « Stanilas Korzybski » يحلل فيه المراحل الاربع للعلم حسب وجهة نظر "بلا نشيه" إذ يقول: "هناك كقانون للتطور، علوم تعمل على تمريره في الاتجاه غير قابل للانعكاس، وكل واحدة منها بحسب المكانة التي تحتلها في الترتيب من خلال أربع مراحل، المرحلة الوصفية، و الاستقرائية، و الاستنباطية، و الاكسيوماتيكية (42).

الأكيد من هذا القول هو ان "بلا نشيه" عبر بوضوح و وفق قراءة تراجعية عن اهم التغيرات و الانقلابات في المناهج التي سايرت العلم عبر محطاته الرئيسة، فالتغيرات المتواصلة لمناهج العلم بدء بالمرحلة الوصفية وصولا عند حفيدها الاكسيوماتيكية، تعكس ذلك التقدم التدريجي المتصل لمناهج العلم. فالمرحلة الاكسيوماتيكية تبقى غير مجدية إذا لم تبن على نظرية استنباطية مسبقة، و التي لا تكون لها قيمة إلا إذا انتظمت مجموعة من القوانين المحصل عليها استقرائيا، و ذلك بعد استكشاف طويل للحوادث و الوقائع، فالفيزياء التي كانت استقرائية في القرنين 17،18، و التي فتحت في القرن 19 عصرا جديدا أمام النظريات الاستنباطية الكبرى، وصلت بداية من القرن العشرين مع نظريتي الكوانتم و النسبية

الى حد اصبحت تطبق فيه المعالجة الاكسيوماتيكية بشكل واسع، وصلت معه النظرية الفيزيائية إلى درجة مكنتها من اعتبارها النموذج الأمثل للعلم المعاصر. فتبعا لتعداد المراحل الأربعة المتتابعة و المتتالية وفق التسلسل متبادل بينها تعكس أهمية العنصر التاريخي بالنسبة إلى الخطاب الابستمولوجي، حيث أن المرحلة ألالاحقة، لا يمكن أن تكون إلا إذا تم تطوير المرحة السابقة لها بشكل كاف، و هي تقدم أيضا الميزات الخاصة لكل مرحلة من هده المراحل. إن المرحلية التي دعا إليها "بلا نشيه" لا تتعلق بوجود فردي شخصي و لكن بفضل الجهود المتضافرة للأجيال التي تستمر قرونا عدة، لتقدم تلك السلسلة على أنها قانون للتطور التاريخي (43)و من الاهمية أن نشير إلى أن قانون المراحل الأربعة للعلم حسب "بلا نشيه" كان منطلقها تلك الدراسة التاريخية لتطور علم الفيزياء، و الاهم من هدا ان يكون هدا القانون غير ممكن التحقق حسب "كارل بوبر ". وبدلك هل يمكن تغليط قانون "بلا نشيه"؟

يبدو أن "بلا نشيه" غابت عنه وجهة نظر معاصره "بوبر" الرامية إلى اعتبار الاستقراء محض خرافة. في الحقيقة تتجلى حيثيات حكم "بوبر" في صلب الاستقراء ذاته، أي في أن القانون العلمي تعميم لمجموعة من الملاحظات التجريبية. لأن الخلاف الناشب بين "بوبر" و الاستقرائيين يعود في أساسه إلى الملاحظة.(44).

إن ما يعنينا من هده الإشارة إلى موقف "بوبر" السلبي من الاستقراء هو ان نلفت الانتباه إلى إمكانية نقض قانون "بلا نشيه" : "قانون المراحل الأربعة للعلم"، فالتغليط قائم، و مرجعه تعدد رؤى العلماء و فلاسفة العلم في تأويل الميكانيكا النيوتونية، لأنها مثلت أحسن تمثيل المنهج الاستقرائي من منظور "بلا نشـيه"، و ألغت في نظر "بوبر" أهم أساس للاستقراء و هو الفرض. فالخطاب الابستمولجي بهذا المعنى دراسة نقدية تتجه إلى العلم في كل مراحله التاريخية، قصد تقديم وصف دقيق للحقيقة العلمية ترتبط في جوهرها بالاستمرارية التاريخية، يقول « S.BORZYBSKI »: "و نتيجة لدلك فالابستمولوجيا التي هي علم الحقيقة لا تحتاج إلى إعادة خلق و لكن فقط إلى الاستمرارية (45) إن الأمر يتعلق بمسألة جد مهمة، تتمثل في التسلسل المتتابع لمختلف مراحل العلم، و هو اهتمام تسعى من ورائه الابستمولوجيا إلى خلق انسجام و توافق ممكنين في هدا التسلسل، يمنحانها صفة العلمية، و يفصلان بينهما و بين كل ما هو فلسفي. فالخطاب

الابستمولوجي يرى في ارتباطه بالحقيقة التاريخية التي ولدها التصحيحات و الثورات العلمية تجسيدا لإحدى جوانب هويته، لأن بناء الحقائق العلمية بناء تاريخيا يعكس قيمتها الموضوعية من جهة، و يعكس في المقابل تحول الإشكالية المدروسة من نقاش ذي طابع فلسفي إلى أخر ذي طابع علمي وموضوعي من جهة أخرى، على أن يبقى هذا التحول مشروطا بتحقق تقدم المعرفة العلمية (46). وهو تحقق مرهون بمدى فهم العالم الخارجي. فطبيعة علاقة الذات العارفة بالموضوع المعروف، تغيرت بتغير طبيعة النظرية العلمية، وبدا تفسير العالم الخارجي وفق اسلوبنا في النظر اليه، و هي غاية من الصعب على العالم (رجل العلم) أن ينشدها والتالي من العسير على الخطاب الابستمولوجي التخلص نهائيا من الفلسفة، يقول "انشتاين": "الشيء الأكثر إبهاما في العالم، هو أن العالم قابل للفهم" (47).

إن مرونة النظرية العلمية المعاصرة، يجعل من الخطاب الابستمولوجي تلك الفلسفة التي لا تعبأ بالمنتوج العلمي بقدر ما تتجه صوب تحليله و نقده لان العلم لا يمكن أن يكون أكثر من وصف أو استقراء أو استنباط أو اكسيوماتيك. لذا فارتباط الابستمولوجيا بالعلم وسعيها للخروج من دائرة الفلسفة و تأسيس علم قائم بذاته يرتقي إلى مستوى موضوعها حال دون تحقيق ذلك، و لأنها ذات طبيعة نقدية، وتحليلية تنحصر مهمتها في ضبط التصورات و المفاهيم العلمية و صياغتها دون استثناء بغرض تسهيل عمل رجل العلم، وهو الأمر الذي يجعل منها فلسفة أو قل مبحثا فلسفيا يفتقر للصفة العلمية. فهي إذن فلسفة لا علم، و يبقى العلم بالنسبة إليها غاية لا حقيقة إذ لم تستطع التخلص نهائيا من الطابع الفلسفي.

فهي بهذا التصور خطابا فلسفيا حول النشاط العقلاني للعلم، خطاب يجعل من العلم و نظرياته موضوعا له، اخدا في الاعتبار إطارها التاريخي (الزماني)، لأن مرجعية الخطاب الإبستمولوجي هي دائما حالة الحقيقة العلمية، و قيمة الوقائع التجريبية و كذا مناهج و كيفيات و طرائق التقدم العلمي، التي كانت و ستبقى موضوع الحوار و النقاش الابستمولوجي.

إذن، نتيجة النظرية العلمية المعاصرة، و كذا الهوية المزدوجة للفظ الإبستمولوجيا، الذي لم ينحصر معناه في الدراسة النقدية لمبادئ و نتائج العلم، بل اعتبرناه أيضا نظرية في المعرفة اقتداءا و تيمنا بالاتجاه الانجلوسكسوني من جهة،

وبحثا عن جذور الممارسة الفلسفية في النظرية العلمية المعاصرة نموذج النظرية العلمية من جهة أخرى، تغدو ملامح هوية الخطاب الابستمولوجي في علاقته بالنظرية العلمية المعاصرة، ضربا في النشاط الفلسفي الذي يكتسح بنيتها و بالتحديد أساسها.

ذلك أن نظرية المعرفة العلمية المعاصرة تستدعي لا محالة حضور الممارسة الفلسفية التي تشارك الممارسة العلمية أساس المشكل العلمي المعاصر، و هوية سليلته المعرفة العلمية، و يتبدى لنا حقيقة هذا ما قاله الفرنسي "ميشيل باتي Michel Paty" عن "انشتاين" ممثل النظرية الفيزيائية المعاصرة من خلال نظريته النسبية. إن "انشتاين" عالم فيلسوف جعل من الفيزياء جنسا من التطبيق الفلسفي.

المراجع


01- يوسف يتبس: تاريخ و فلسفة العلوم عند ميشيل سير، عالم التفكير، المجلس الوطني للثقافة و الفنون و الاداب، الكويت، العدد 4، المجلد 30، افريل 2002، ص: 156-157.

02- Robert Blanché: L'épistémologie, que sais-je ? P.U.F, Paris, France, 1972, P.18.

03- Robert Blanché : ibid , P.05.

04- Français Dagognet : Anatomie d'un épistémologue , sans édition , librairie philosophique ,J.Vrin, Paris, France ,1984 , P.84.

05-Ibid , P.86.

06- يوسف تيبس: المرجع السابق، ص: 157-158.

.Robert Blanché : Op-cit ,P.1507-

Bernard Morichere : Philosophes et philosophie de Lock à nous jours , sans -08 élition, Nathan, Paris, France, 1992, T2,P.474.

09- عبد القادر بشته: الابستمولوجيا مثال الفيزياء النيوتونية: ط1 ، دار الطليعة، بيروت، لبنان، سنة 1995، ص:06.

Sylvain Auroux : Encyclopédie philosophique Universelle , P.U.F, Paris, 10- .France , Première édition , 1990 , T1 ,P.813

.- Bernard Morichere :Op-cit , P.47411

.07. :Op-cit, Pé Robert Blanch12-

Léna Soler : Introduction a l'épistémologie , sans édition , ellipses , Paris , 13- .France , 2000, P.14

14- عادل السكري: نظرية المعرفة، ط1،الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، مصر، سنة 1991، ص 27

15- المرجع نفسه، ص .38

16- علي حسين كركي: الابستمولوجيا في تطو الفكر العلمي الحديث، ط1، المكتب العالمي للطباعة و النشر والتوزيع، بيروت لبنان، سنة 1997، ص:15

17- جيمس جيز. الفيزياء و الفلسفة، تعريب، جعفر رجب، دون طبعة، دار المعارف، القاهرة، مصر، سنة1981، ص:241

18- المرجع نفسه:ص.195.

André Lalande : Vocabulaire technique et Critique de la philosophie,5eme - 19 éd ,PUF,Paris, France, 1999, Volume 1,P.293.

François Russe : épistémologie et Histoire des Sciences, archive de philosophie, 20- France, P.617-618.

Didier Julia : Dictionnaire de la philosophie, 1re éd, Librairie Larousse, Paris, 21- .France, 1964, p.88

.Robert Blanché : Op-cit, P.0722-

Ibid. : P.1823-

. Léna Soler : Op-cit, P.1724

. Robert Blanché : Op-cit, P.3325-

. Léna Soler : Op-cit, P.1726-

Robert Blanché : Op-cit, P.32. 27-

28- Robert Blaché : Op-cit, P.32.

-Ibid : P.16.29

- Ibidem : P.16.30

31- محمد وقيد: جراة الموقف الفلسفي، افريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، 1998، ص.103

32- يوسف تيس، المرجع السابق، ص.205 .

33- غاستون باشلار: فلسفة الرفض، تعريب، خليل احمد خليل، ط1، دار الحداثة، لبنان، 1985، ص60.

. André Lalande : Op-cit,P.29334-

. Robert Blanché : Op-cit,P.21-2235-

36- يمنى طريف الخولي: فلسفة كارل بوبر، دون طبعة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر، 1939، ص.13-14.

.Robert Blanché : Op-cit, P.2237-

38- جورج كونغليلهم: دراسات في تاريخ العلوم و فلسفتها، تعريب: خليل احمد خليل، ط1، دار الفكر اللبناني، بيروت، لبنان، سنة 1992، ص..08

39- المرجع نفسه: ص.61

40- علي حسين كركي: المرجع السابق، ص.29.

.Robert Blanché : Op-cit, P .1941-

Stalinas KORZYBSKI : Les quatres étapes de la science d'après Robert 42-- .Blanché, archive de philosophie, № 41 'sans lieu', 1978, P.671

.Ibid: P.67243-

44- يمنى طريف الخولي: المرجع السابق، ص138.

. Stanilas KORZYBSKI : Op-cit, P.67345-

. Robert Blanché : Op-cit, P.12446-

. Ibid :P.8747-